الفصل الأول

حول منهج دراسة الصحوة الاسلامية
واطار المقارنة بين الاسلام والأيديولوجيات المعاصرة

يضم هذا الكتاب موضوعين رئيسيين يتناول أولهما الآراء التى نشرت فى الدوريات غير العربية عن الصحوة الاسلامية خلال الأعوام الأربعة ١٩٧٩ — ١٩٨٢ • ويرجع اختيار سنة ١٩٧٩ كسنة أساس الى ما اكتنفها من أحداث جسام كان لها تأثيرات بعيدة المدى على ظاهرة الصحوة • من أهم تلك الأحداث الثورة الاسلامية فى ايران وما أعقبها من ردود فعل فى العالم الاسلامى كله ، ثم الانقلاب العسكرى فى باكستان الذى تعارضه الأحزاب الدينية هناك منذ فترة بعد أن تكشفت حقيقته وان كان هذا لا يعفيها من المسئولية الجسمية لتورطها فى البداية بالاتفاق مع العسكر ولا يبرئها من الشكوك القوية التى تحوم حول حقيقة دورها • وأخيرا ، تتمثل أهمية سنة الأساس هذه فى تصديق النظام السياسى فى مصر على اتفاقيات كامب دافيد مع الكيان الصهيونى الذى تحولت المهمة الموكولة اليه من التصدى لتيار التحرير الوطنى والقومية العربية خلال الخمسينات والستينات ، الى القيام بدور الأداة الرئيسية فى يد الامبريالية لتحدى وتصفية أى تيار حقيقى للصحوة الاسلامية قد يهدد مصالحهما المشتركة فى المنطقة أو فى العالم الثالث•وسنخصص الفصل الثانى لاستعراض وتحليل تلك الآراء عن الصحوة• أما الموضوع الرئيسى الآخر — الذى سيعالج فى الفصل الثالث — فسيشتمل على مقارنات متعددة بين مواقف كل من الاسلام والأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة من بعض القضايا الايمانية والحياتية •

تمهيدا لدراسة هذين الموضوعين ، نخصص هذا الفصل الأول كمدخل عام نقترح من خلاله منهجا لدراسة الصحوة ، ثم نستعرض نماذج من

المشكلة الأزلية لتفسير العقائد والأيديولوجيات توطئة لعقد المقارنات المشار اليها .

أولا : نحو منهج مقترح لدراسة الصحوة الاسلامية

يمكن استخلاص فرض أولى ذى شقين من ملاحظة الواقع الاسلامى المعاصر . هذا الفرض يتمثل فيما يلى :

— اصطلاح الصحوة الاسلامية اصطلاح غامض يحتمل عدة تأويلات وتفسيرات . فليس هناك مثلا اتفاق بين المفكرين أو الكتاب على تعريف موحد لظاهرة الصحوة لامن حيث التوقيت أى متى بدأت ، ولا من حيث تركيب ونوعية القوى المشتركة فيها أو المعبرة عنها ، ولا من حيث المضمون وهل هى تجسيد لتحرك واع أم انتفاضات عفوية تنفيسا عن واقع سىء . هناك خلاف هام آخر حول مدى صلة الظاهرة نفسها بالاسلام كعقيدة وما اذا كانت السمة الغالبة للصحوة هى محاولة للتطهر الدينى والعودة الى الحق ، أم تعبير عن معارضة اجتماعية واقتصادية لأوضاع سياسية ظالمة وجدت فى الاسلام ملجأ واطارا ، أم هى تعبير عن السمتين معا .

— اصطلاح الصحوة الاسلامية اصطلاح فضفاض . لشرح المقصود من ذلك نقول أن فهم الاتجاهات المعاصرة للصحوة يستلزم تتبع الجذور الأولى للفكر الاسلامى وكيفية وأسباب تطوره . فمن الناحية السياسية كان هناك تياران رئيسيان من الفكر خلال معظم فترات الخلافة الاسلامية وهما :

١ — تيار توفيقى حاول تضييق الفجوة بين المبادىء السامية للشريعة الاسلامية وبين التجاوزات والانحرافات السياسية التى عانى منها تاريخ الحكم الاسلامى بعد الفتنة الكبرى أى حاول التوفيق بين ضدين . كان من بين أهداف ذلك التيار اثبات استمرارية الأمة الاسلامية ، واثبات شرعية النظم السياسية التى أعقبت الفتنة رغم تخليها التدريجى عن الحكم بالشريعة ، وتسكين ما سمى بامارة الاستيلاء داخل اطار

الخلافة الاسلامية ، ومحاولة اقناع مغتصبى السلطة من الخليفة العباسى بالتعهد بالالتزام بقواعد الشريعة أو على الأقل الاعتراف بسلطة الخليفة كرمز للشريعة مقابل الاعتراف بشرعية اغتصابهم للسلطة فى الأقاليم التابعة للخلافة • وقد أسهمت كتابات عدد من المفكرين المسلمين بصورة أو بأخرى فى بلورة ملامح ذلك التيار نذكر منهم الماوردى والبغدادى والغزالى والباقلانى وابن جماعة •

يعرف كثير من الدارسين لتطورات الفكر السياسى الاسلامى كيف قضى ذلك التيار التوفيقى التنازلى على النظرية السنية للخلافة نتيجة افراطه فى استخدام الأعذار الشرعية لتبرير التجاوزات السياسية •

(والأعذار هى الضرورات تبيح المحظورات ، تحمل أخف الضررين ، وحدة الأمة الاسلامية ، المصالح العامة للأمة) ثم تجرأ ابن جماعة آخر ممثلى ذلك التيار على الادعاء بأن القوة العسكرية قادرة على اقامة امامة صحيحة خلافا لأى قياس أو اجماع سابق يعتد به بين الفقهاء والمفكرين المسلمين • على صعيد الواقع ، لم يكترث أحد من الحكام المتأخرين آنذاك بالاستجابة لتنظير ذلك التيار وذهبت أدراج الرياح مطالبته بالعودة للحكم بالشريعة •

هكذا تحولت الخلافة تدريجيا الى نظام استبدادى مطلق الى أن استطاعت الموجة الثانية من المغول اجتياح بغداد عام ١٢٥٨م وقضوا على الخلافة العباسية • ان الارتباط بين ما ذكرنا وبين المنهج المقترح لدراسة الصحوة هو وجود انعكاسات معاصرة كثيرة لسلبيات ذلك التيار نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دفاع بعض المؤسسات الدينية الرسمية عن الصلح مع الصهيونية • كذلك أفكار بعض الجماعات الدينية التى تحاول عبثا تسخير الشريعة الاسلامية لاضفاء المشروعية على التركة المثقلة للامبراطورية العثمانية • ينطلق ذلك الموقف التوفيقى الجديد من مفاضلة مرفوضة أصلا شكلا وموضوعا بين الامبراطورية العثمانية ونظام الحكم

المنحرف لكمال أتاتورك والمعروف بعدائه الشديد للاسلام • وكان الأجدى الارتفاع بمستوى المقارنة من ذلك الدرك الأسفل الى نموذج الخلافة الرشيدة الذى يتطلع اليه المسلمون عادة •

٢ — تيار ثان أكثر التزاما بسنة الخلفاء الراشدين (رض) أى المفاهيم والممارسات المبكرة للخلافة الرشيدة مع رفض التورط فى تنازلات فكرية أو سلوكية • وقد كان ذلك التيار شديد التمسك بتلك السنة ويحاول جاهدا اعادة بناء الجسور بين قواعد الشريعة والممارسات السياسية ، مع كشف أوجه القصور التى أدت تدريجيا الى ابتعاد الحكم الاسلامى عن الالتزام بتعاليم الشريعة والتحذير من المصير الحتمى المترتب على الابتعاد عن الحكم بها • ولعل مما يسترعى الانتباه أن التيار التوفيقى التنازلى فى الفكر السياسى الاسلامى حظى بالجانب الأكبر من اهتمام كثير من المستشرقين الذين وجدوا فيه ضالتهم ليتهموا مفكرى وفقهاء الاسلام بتبرير الطغيان والحكم الفردى المخالف لكل ما جاءت به العقيدة من قيم وتعاليم • بل وتطرف البعض منهم ليتهم العقيدة نفسها بأنها سبب تلك النماذج المشوهة من الحكم قديما وحديثا •

نختلف معهم طبعا حول هذه التقويمات لأن المشاركين فى التيار التوفيقى لا يتطرق الشك الى هدفهم من حيث محاولة رأب الصدع الكبير فى مؤسسة الخلافة واثبات استمرارية الأمة الاسلامية والدفاع عن صحة العقود ، وان كان قد جانبهم الصواب فى الوسيلة المستخدمة •

على العكس من ذلك ، نجد أن التيار الثانى الذى نشير اليه ، والذى تتوفر الدلائل على أنه سابق فى الوجود على التيار التوفيقى ويتمتع بالاستمرار الفكرى والعقائدى ، هذا التيار لم يحظ بأية عناية منهم رغم توفر المصادر المعتمدة التى عالجت أفكار بعض أقطابه • لكن احقاقا للحق ، فان تلك المعالجات لم تتناول اسهاماتهم فى دراسة منطقية مترابطة تواجه بها مفاهيم ومواقف التيار التوفيقى •

مثل هذه المقارنة المحورية الهامة لاتزال تحتاج الى جهود بحثية كبيرة تكشف الجانب المشرق من الفكر السياسى الاسلامى ، وتسلط الأضواء على آراء وكتابات عدد من الصحابة والأئمة والتابعين والفقهاء الذين نقترح تصنيفهم ضمن هذا التيار الثانى •

نذكر من هؤلاء أبى ذر الغفارى وعلى بن أبى طالب (رض) والحسن البصرى وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وأبى يوسف وأبى حنيفة ومالك وابن خلدون •

لقد تعلم الصحابة والراشدون على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ففكروا بحرية وعبروا عن آرائهم دون خوف • استمرت السنة وتمسك بها كل هؤلاء فى آرائهم أو كتاباتهم ، ودفع كثير منهم كما هو معروف ثمنا باهظا لذلك • واذا كان لابد من مثال ، فلن نستشهد بواحد من هؤلاء القريبين من عصر النبوة حيث الالتزام والفداء بديهيان • انما نشير الى الامام مالك (رض) بعد أن بعدت الشقة وتغيرت الظروف ومع ذلك ينتصر للعقيدة ويلتزم بالممارسة الصحيحة فيصدر فتواه المشهورة « لا بيعة لمكره » والتى أنكرها عليه الحكام فوقعت محنة الامام حيث عُلق حتى انخلعت كتفاه وذلك فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور •

خلافا للتيار الأول ، فان الانعكاسات المعاصرة لذلك التيار الثانى أقل عددا وتواجه صعوبة بالغة فى شق طريقها أمام مقاومة المؤسسات الرسمية التى تعى مدى جذرية ومغزى هذا التيار الذى يتمثل فيما هو ظاهر على السطح على الأقل من محاولات لم تتبلور بعد تطالب باعادة الخلافة الاسلامية أو حكم سياسى شبيه بها •

بناء على هذه الأسباب ، ذكرنا أن اصطلاح « الصحوة الاسلامية » الذى شاع استخدامه فى العقود الأخيرة هو اصطلاح فضفاض ذلك أنه

يشتمل على انعكاسات وتداعيات للتيارين المشار اليهما معا • واستكمالا لهذا الفرض نوجز قدر الامكان أهم خصائص التيارين أعلاه فيما يلى :

ـ اختلاف النظرة الى مؤسسة الخلافة •

ـ الاختلاف حول مفهوم الوسائل السياسية الكفيلة بتحقيق غاية الله (س) من استخلاف الانسان فى الأرض ، وتحقيق السعادة فى الدارين ، ودور العقل البشرى بصفته منفذ التكليف من الله •

ـ اقتران كل من التيارين بأشكال متباينة من النشاط السياسى •

ـ تجاوزهما الانقسامات الطائفية والعقائدية العميقة التى تولدت أثناء وبعد الفتنة الكبرى ، بمعنى أن الفرقة الواحدة أو المذهب الواحد كان يضم اجتهادات فكرية وممارسات سياسية تعبر عن التيارين فى آن واحد كما أشرنا أعلاه فى اطار المذهب السنى مثلا ، كما حدثت مواجهات مع بعض مؤسسات الخلافة اشترك فيها أتباع أكثر من مذهب واحد وذلك أثناء الاضطرابات الاجتماعية المتعددة التى عرفها تاريخ الاسلام مستلهمين فى انتقاضهم الاجتهادات والممارسات المأثورة عن عصر الخلافة الرشيدة •

ـ ممارستهما تأثيرا محسوسا على الحركات الاسلامية التى ظهرت فى العصر الحديث ثم فى زماننا المعاصر ابتداء من عام ١٩٠٠م •

يتضح من ذلك مدى العلاقة الوثيقة بين الاتجاهات المختلفة للصحوة وبين العقيدة الاسلامية بصفتها المنهل الأكبر للمنظومة الفكرية التى انبثقت منها تلك الصحوة ومصدر الهامها • ويمكن أن نفترض باطمئنان أن كثيرا من اللبس وعدم الفهم والضبابية التى تحيط بالصحوة حاليا ناجم عن عدم تقدير هذه العلاقة حق قدرها •

بالتالى فان أية محاولة جادة لشرح ظاهرة الصحوة الاسلامية وتفسيرها تفسيرا علميا متكاملا لن يكتب لها النجاح ما لم يتم التعامل

مع الاتجاهات المعاصرة على أنها امتداد بصورة أو بأخرى لتلك التيارات الاسلامية السابقة التى ذكرنا أهم تيارين سياسيين منها •

لكن ، حيث أن مثل تلك الدراسة العلمية المتكاملة تحتاج الى توفر كفاءات علمية متخصصة فى مجالات العقيدة والفقه والاقتصاد والسياسة والاجتماع ، فاننا نشفق على كثير من المجهودات الفردية التى تقتصر بحكم تخصصها على تغطية جانب أو أكثر مـن جوانب الصحوة • لهذا يمكن القول أيضا بأن التضارب الكبير بين هذه الاجتهادات الفردية يرجع فى جانب منه الى التقويمات الأحادية الجانب •

ليس معنى ذلك ضرورة تماثل زوايا الرؤية بين جماعة البحث التى قد تضطلع بمثل هذا العمل الشاق ، انما لابد على الأقل من وجود قدر من الاتفاق على الأطر والأساليب الفنية المستخدمة فى دراسة الصحوة لتوفير قدر عال من المنهجية وضمان حد أدنى مـن الموضوعية لا تتعارض مـع امكانية التوصل الى رؤية شاملة للأبعاد المختلفة التى تحكم موقع الصحوة الاسلامية من العالم المعاصر •

ثانيا : مشكلة تفسير العقائد والأيديولوجيات

بالنسبة للموضوع الرئيسى الآخر ، هناك افتراض ثبتت صحته مرارا وهو أن المصالح المتباينة والدوافع الاجتماعية المتضاربة تؤدى فى كثير من الأحيان الى الاختلاف فى تفسير أيديولوجية ما أو عقيدة دينية • يترتب على ذلك أن تفسيرات الأفراد لها قد تنتهى بالاتفاق مـع أو الانحراف عن مفهوم الآخرين لتلك الأيديولوجية أو العقيدة • تبدو أهمية ذلك عندما تكون احداهما دليلا تسترشد به حركة سياسية ما حيث يصبح للاتفـاق أو الاختلاف فى التفسـير مغـزى خاصا • وتعتبر الصراعـات الدينية والأيديولوجية قديما وحديثا مجالا خصبا للدراسة والمقارنة حيث يدعى كل فريق أو حزب أن مفهومه للدين أو الأيديولوجية هو المفهوم الوحيد

الصحيح وما عداه مروق عن تعاليم السماء أو انحراف عن الخط السياسى السليم مع ما يتبع ذلك من انقسامات وظهور فرق جديدة وحجج مضادة قد يصل الصراع بينها الى حد القطيعة واللجوء الى العنف • وسنمهد فى الأسطر التالية للمقارنات التى سيتناولها الفصل الثالث وذلك بنماذج مختصرة من الصراعات التى حدثت داخل وخارج اطار بعض العقائد والأيديولوجيات نظرا لما تحمله من أوجه التشابه مع بعض عناصر تلك المقارنات وخاصة من حيث اتجاه وأسلوب علاج قضايا الدين والحياة •

على سبيل المثال لا الحصر ، تعرض الدين اليهودى لتفسيرات متعارضة تمخضت عن صراعات مريرة • فقد ظهر من بين اليهود من قاوموا عقد العزلة والاستعلاء المعروفة ونادوا بدلا من ذلك ببناء الجسور مع الأمم والشعوب الأخرى • من هؤلاء هيلل القديم ، والسيد المسيح (ع) ، وأولئك الذين نادوا بمقولة « ستحب أنت الغريب » ، ومفكروا مدرسة الاسكندرية ، والقراءون الأوائل ، وسبينوزا ، وأينشتاين • على العكس من ذلك ، ظهرت شخصيات وقوانين وتفسيرات تمثل الاتجاه الآخر الرجعى مثل عزرا ، والقانون القبلى الذى يحرم تناول الطعام أو الزواج المختلط مع غير اليهود ، والحاخامات الذين لعنوا من يعلم ابنه علوم اليونان ، واصدار توصية « ستقتل أحسن الأغيار » واحراق كتب المفكر اليهودى الأندلسى موسى بن ميمون ، ولعن الفيلسوف سبينوزا ، والتفسير الصهيونى المتعصب للتوراه بأنها تحض على الاكراه والعنف والنقاء العرقى •

بالمثل ، تعرضت المسيحية فى المشرق لتفسيرات متناقضة فى النصف الأول من القرن الخامس الميلادى وخاصة بالنسبة لطبيعة السيد المسيح (ع) ومسألة التجسيد التى اختلف عليها كيرلس بطريرك الاسكندرية ونسطوريوس بطريرك القسطنطينية • دافع الأول عن وحدة شخص المسيح بينما اعترض الثانى قائلا بأن فى المسيح شخصان الهى وانسانى أى له طبيعة الهية وأخرى انسانية ، وبالتالى اعترض نسطوريوس على تسمية

السيدة العذراء بلقب أم الله (تعالى عما يقولون) • وقد أدت تلك التفسيرات المتضاربة الى عقد مؤتمرات ومجالس مسكونية اتسمت بالتعنت والاستئثار بالرأى وانتهت الى اتهام نسطوريوس بالزندقة فانقسمت الكنيسة وانتشرت تفسيرات نسطوريوس فى المشرق حتى الصين ، بينما سادت مفاهيم كيرلس فى مصر وجنوبا حتى الحبشة • وما حدث بعد ذلك على يد مارتن لوثر وجان كالفين معروف اذ حدثت انشقاقات عن الكنيسة الكاثوليكية وظهر المذهب البروتستانتى الجديد خلال القرن السادس عشر احتجاجا على انحراف الكنيسة عن مفهوم المذهب للمسيحية وللمطالبة بالعودة الى جوهرها الصافى والتخلص من الفساد المستشرى واعلاء شأن الدور الذى يقوم به ضمير الفرد • وقد انتشرت تفسيرات المذهب الجديد خاصة فى شمال أوروبا والعالم الجديد •

عرفت العقيدة الاسلامية أيضا أمثلة كثيرة من الاختلاف على تفسير المصدرين الرئيسيين لها وهما القرآن الكريم والسنة النبوية ، فقد أقر الفقهاء المسلمون بعض التفسيرات التى توخت العدل والبعد عن الهوى ، واعتمدوا على مبدأ الاجماع فى رفض البدع والتفسيرات الأخرى التى اتسمت بالغلو والافتقار الى الضوابط الشرعية • ومن المعروف أن الخلافات كانت قد بدأت تتخذ طابعها الحاد بعد واقعة التحكيم وانشقاق الخوارج على الخليفة الرابع على بن أبى طالب (رضى) • ثم تتالى ظهور الفرق الاسلامية من شيعة ومعتزلة وسنة مع ما تبع ذلك من حروب طائفية ضرورس • لم يتوقف الأمر عند هذا الحد إذ انقسمت تلك الفرق الى تيارات فرعية كثيرة يفسر كل منها انشقاقه بتفسيراته الخاصة للمصدرين الرئيسيين القرآن الكريم والسنة النبوية •

على صعيد الأيديولوجيات العلمانية ، تباينت وجهات نظر القابضين على السلطة فى اطار الأيديولوجية الرأسمالية الواحدة والحركات القومية المتنافسة فى أوروبا فاصطدمت المصالح ونشبت حروب لعل أهمها حرب ١٨٧٠ ، والحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ • ثم اختلفت التنظيرات

واشتعل التنافس مرة أخرى بين جناحى النظام الرأسمالى من أتباع الليبرالية من ناحية ، وأتباع الفاشية والنازية من ناحية أخرى الذين أكثروا من استعمال أساليب الخداع والتمويه والديماجوجية • وقد اشتد خلاف الجانبين حول مفهوم نظام الحكم وحقوق الفرد وعلاقته بالمجتمع ، كما اختلفا أيضا على اعادة توزيع المستعمرات فانفجر الصراع المكشوف فى حرب عالمية ثانية عام ١٩٣٩ سرعان ما تكشف عن هدف اضافى للنازية كان يتمثل فى محاولة تصفية النظام الاشتراكى الجديد فى الاتحاد السوفيتى •

قبل ذلك وبعده من الناحية الزمنية ، مرت الأيديولوجيات والفلسفات الاشتراكية والماركسية خاصة بخلافات فكرية عديدة نتيجة تضارب التفسيرات وان كان من أخطرها تلك التى وقعت بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ بين المنادين بثورة دائمة من أتباع تروتسكى وبين أنصار بناء الاشتراكية فى دولة واحدة من المؤيدين لستالين • ثم تعمقت الانقسامات على مستوى النظم السياسية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لاختلاف الرؤى وازدياد حدة الصراع الدولى الى أن تبلور تناقض الآراء عام ١٩٦٣ بين قيادتى الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية حول نقاط عديدة منها امكانية الانتقال السلمى من الرأسمالية للاشتراكية ، الخضوع للابتزاز النووى للامبريالية ، الطريق البرلمانى للصراع ، مقولة « حزب كل الشعب » • على صعيد آخر ، نستطيع الافتراض أن استمرار بقاء النظام الرأسمالى بل وازدياد قوته النسبية يعود فى جانب منه الى قبلة الحياة التى منحه اياها التطور التكنولوجى الضخم المعاصر مما أعطى مردودات ايجابية للنظام اقتصاديا وسياسيا ، وان كانت تلك المردودات والازدهار الذى ميز العقد السادس قد أديا فى نفس الوقت الى تفاقم الخلافات الفكرية بين الأحزاب الماركسية وظهور تفسيرات جديدة ساهمت فى تكريس التفتت الأيديولوجى لعل أبرزها تخلى الأحزاب الشيوعية فى غرب أوروبا عمليا عن نظرية دكتاتورية البروليتاريا •

باختصار ، ان ظاهرة الاختلاف فى تفسير تعاليم الأديان والأيديولوجيات

ومواقفها من قضايا الدين والحياة هى ظاهرة أزلية ذات مضامين عقائدية حينا واقتصادية وسياسية أحيانا أخرى • وسيتناول التحليل فى الفصل الثالث المواقف من تلك القضايا وخاصة ما يتعلق منها بالجانب الايمانى ووجود الخالق وحقوق الانسان وتماسك المجتمعات ومشكلة القيم •

يظل هناك اختلاف كبير بين الأسلوب الذى تتبعه العقيدة الاسلامية فى تحديد موقفها من تلك القضايا وبين أساليب كثير من الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة • وتحديدا للمقصود ، يتركز التحليل على العقيدة الاسلامية وليس على آراء أو سلوكيات بعض الخلفاء الذين أسرفوا فى استغلال الأعذار الشرعية لتبرير تخليهم التدريجى عن الحكم بالشريعة • كذلك لا نتناول ما دأبت عليه قوى المعارضة الاسلامية خلال فترات طويلة من نظام الخلافة من تغطية معارضتها السياسية والاقتصادية بصبغة دينية لمواجهة البطش والسفه وتبديد موارد الأمة •

فخلافا للاسلوب الاسلامى الذى سنشير اليه تفصيلا فيما بعد ، تتسم أساليب كثير من الأيديولوجيات والفلسفات الغربية أما بالغموض أو الالتواء فى تحديد مواقفها من تلك القضايا وذلك تحت ستار العلم والتجريبية • فهى مثلا لا تعترف بوجود مالا يمكن التأكد منه أو من صحته فى حدود الخبرة الحسية ، أو ما ليس له منفعة فورية مباشرة • ومن البديهى أن لهذه المفاهيم الفلسفية علاوة على ذلك تداعيات تتجاوز القضية الايمانية لتؤثر فى مختلف جوانب الحياة العملية سواء وجدت تلك المفاهيم تجسيدا لها فى المنظومة الفكرية الرئيسية للنظام السياسى كما هو الحال بالنسبة للبراجماتية ، أو كانت المصدر الفعال لفكر وسلوكيات كبار المسؤولين والمثقفين كالوضعية بشقيها والوجودية وغيرها • وان كان هناك ثمة تباين بين هذه الفلسفات الغربية وبين الماركسية ، فهو أن هذه الأخيرة تتبنى موقف الالحاد الصريح الذى يمكن فهمه وتفنيده حتى على مستوى العامة بعكس المواقف الملتوية لتلك الفلسفات التى يمكن أن نسميها بالالحاد المراوغ • وتتضح خطورة هذا النوع من أن الجماهير الشعبية

قد لا تفطن اليه بسبب انتشار الأمية فى كثير من دول العالم الثالث • بل أنه قد ينطلى أيضا على أنصاف المتعلمين الذين يتوهمون وجود بون شاسع بين الالحاد الصريح والالحاد المراوغ فيقعون فريسة بعض الجماعات الدينية والدوائر ذات المصلحة التى تحاول عبثا تبرير تبعيتها للامبريالية بتصنيف القوى الدولية على هواها الى ملحدة ومؤمنة حتى تستطيع ترويج مقولة : الشرق الملحد والغرب « المسيحى » ، ومن ثم محاولة جـــر المسلمين الى موقف منحاز مشابه •

يتناسب ذلك الالحاد المراوغ مع النهج الانتهازى للرأسمالية الغربية التى تفضل عدم التصريح بذلك الالحاد الذى يستشرى فى الغرب بـين النخبة وكثير من الزعامات السياسية التى تتحكم فى صنع القرار • فالدين رغم عدم ايمانها به له فوائد نفعية كثيرة من وجهة نظرها كالاستئثار مثلا بأصوات الناخبين المتدينين فى الغرب وخاصة فى الريف • من فوائده كذلك امكان وضع قناع ايمانى زائف لاكتساب الاحتـرام والمصداقية اللذين تفتقر اليهماتهم الالحاد التى توزعها جزافا عـلى الأحزاب والزعامـات الوطنية فى العالم الثالث لمناداتها بالعدالة الاجتماعية باعتبارها خطـرا يهدد مصالحها واستثماراتها • من هنا كان من الضرورى بلورة مـوقف الاسلام المبدئى من قضية الخلق والايمان وبيان أوجه اختلافه الجذرى مع تلك الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة فى معالجة هذه القضية المحورية وبعض القضايا الحياتية الأخرى التى سيتضمنها الفصل الثالث • ومن خلال التحليل المقارن سيتبين مـدى التزام العقيدة الاسـلامية بالقيم والوسائل السوية فى اختيار الحجج ، وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وتحديد النظرة المستقبلية لمصير الانسان •